إلا ان ذلك يشكل مصدر حوار ديمقراطي قلّما بلغته أية حركة تحرير. وتتواجه التيارات الايديولوجية كلها وتعبّـر عن رأيها؛ وهذا هو السبيل الوحيد لفهم ما يتسم به النقاش بشأن الدولة الديمقراطية من غنى وتنوع.

ولا بـد أن نأخذ بعين الاعتبار عاملاً آخر، في مـا يتعلق بالمـرحلة التي نحن بصددها، وهو أن منظمة التحرير لم تكن تمثل، خلال الفترة المذكورة، مجموع فئات الشعب الفلسطيني وشرائحـه. فالدعم الرئيسي الذي تناله المقاومة إنما هو في مخيمات اللاجئين، في الأردن أولاً ثم في لبنان؛ حيث ثمة تجاوب واسع مع استراتيجية الكفاح المسلح والحرب الشعبية[٧]، وكذلك مع التشديد عـلى دور الفلسطينيـين وعلى رفض التسويات السياسية. وقد شجّع على رسوخ المقاومة في المخيمات قيام مؤسسات موازية للسلطة[٨] هي حقاً «مناطق محررة» في الأردن. أما في الضفة الغربية فيختلف الأمر جذرياً[٩]. فقد فشلت محاولات ترسيخ العمل الفدائي في عام ١٩٦٧، وحافظت القيادات التقليدية المرتبطة بالنظام الهاشمي على هيمنتها. وكان لا بد من الانتظار حتى سنة ١٩٧٣ لرؤية انخراط الجماهير الشامل في الضفة الغربية، تحت لواء منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي غزة كان الوضع أقل وضوحاً، فقد حافظت منظمات المقاومة على نشاطاتها، رغم عدم وجود خلفيات لعملها. ويرى «أونيل» سببين لهذا الواقع: النسبة العالية من اللاجئين (نصف عدد السكان)؛ والفقر المدقع[١٠]. وهو يستنتج: أن هؤلاء لا مصلحة لهم في حل جزئي لا يعيدهم إلى «أراضيهم».

وهنا نلمس ظهور انقسام مهم في الشعب الفلسطيني، بين اللاجئين وغير اللاجئين (ونحن لا نتكلم، هنا، عن جميع الذين شُرّدوا من ديارهم، وإنما عن هذا القسم الأكثر فقراً والذي يعيش في المخيّمات)، باعتبار أن الفئة الأولى (اللاجئين) هي الأقل ميلاً إلى «المساومة». قد يكون مفيداً، إذاً، ان نلاحظ أن هذه الفئة الأولى ألقت بثقلها، خلال فترة ١٩٦٧ــ ١٩٧١، على منظمات المقاومة وكوّنت الجسم الأساسي من «جماهيرها»، في حين ان الفئة الثانية لم تكن قد وجدت مكانها في منظمة التحرير.

٢ ــ تاريخ المقاومة الفلسطينية

العلامة البارزة في هذا المضمار هي هزيمة البلدان العربية في حزيران (يونيو) ١٩٦٧. فلقد خلقت النكسة فراغاً يتيح للمقاومة الفلسطينية ان تكتسب استقلالاً نسبياً وأن تحدد استراتيجيتها:

(أ) **في مواجهة اسرائيل ومحاولات التسويات السياسية**: ففي هذه الناحية، تجلّت وحدة نسبية: الكفاح المسلح هو الشكل الوحيد لمجابهة «العدو الصهيوني». وبعد أن فشلت المقاومة الفلسطينية في إرساء قواعد لها في الضفة الغربية في نهاية عام١٩٦٧، فانها انكفأت إلى «قواعد مضمونة»، في الأردن ثم في لبنان. وتميزت فترة ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩ بنهوض العمليات العسكرية.